

الحلقة السادسة والعشرون

أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن أمثال المخلص يسوع المسيح. ويقارن المثل بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم.

ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال، لإيضاح الحقائق الروحية، وليكشف الهدف من مجيئه. وكنا قد تحدثنا في اللقاء السابق عن مثل الكرام الذي طلب ثمرًا من التينة لمدة ثلاث سنين ولم يجد، فتركها سنة أخرى لتصنع ثمرًا وإلا فسيقطعها. وهذا يشير إلى صبر الله على الإنسان الخاطئ لكي يتوب قبل إدانته.

صديقي المستمع، هل تغفر للإنسان الذي يسيء إليك؟ وكم مرة أنت على استعداد أن تسامح؟ طرح الرسول بطرس مرة على المخلص المسيح هذا السؤال: « يَا رَبُّ، كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَعْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ؟ » قَالَ لَهُ يَسُوعُ: « لَا أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ، بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ ». وأضاف: « لِذَلِكَ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا مَلِكًا أَرَادَ أَنْ يُحَاسِبَ عِبِيدَهُ. فَلَمَّا ابْتَدَأَ فِي الْمَحَاسِبَةِ قَدَّمَ إِلَيْهِ وَاحِدٌ مَدِينُونَ بَعِشْرَةَ آلَافٍ وَزَنْةٍ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُوفِي أَمْرَ سَيِّدِهِ أَنْ يَبَاعَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَأَوْلَادُهُ وَكُلُّ مَا لَهُ، وَيُوفِي الدَّيْنَ. فَخَرَّ الْعَبْدُ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلًا: يَا سَيِّدِي، تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيكَ الْجَمِيعَ. فَتَحَنَّنَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ وَأَطْلَقَهُ، وَتَرَكَ لَهُ الدَّيْنَ.

وَلَمَّا خَرَجَ ذَلِكَ الْعَبْدُ وَجَدَ وَاحِدًا مِنَ الْعَبِيدِ رُفْقَائِهِ، كَانَ مَدِينُونَ لَهُ بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَأَمْسَكَهُ وَأَخَذَ بَعْنَقَهُ قَائِلًا: أَوْفِنِي مَا لِي عَلَيْكَ. فَخَرَّ الْعَبْدُ رُفِيقَهُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَطَلَبَ إِلَيْهِ قَائِلًا: تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيكَ الْجَمِيعَ. فَلَمْ يَرُدْ بَلْ مَضَى وَالْقَاهُ فِي سَجْنٍ حَتَّى يُوفِيَ الدَّيْنَ. فَلَمَّا رَأَى الْعَبْدُ رُفْقَاؤَهُ مَا كَانَ، حَزَنُوا جَدًّا. وَأَتَوْا وَقَصُّوا عَلَى سَيِّدِهِمْ كُلِّ مَا جَرَى. فَدَعَاهُ حِينَئِذٍ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ، كُلُّ ذَلِكَ الدَّيْنِ تَرَكَتُهُ لَكَ لِأَنَّكَ طَلَبْتَ إِلَيَّ. أَفَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّكَ أَنْتَ أَيْضًا تَرْحَمَ الْعَبْدَ رُفِيقَكَ كَمَا رَحِمْتُكَ أَنَا؟ وَغَضِبَ سَيِّدُهُ

وَسَلَّمَهُ إِلَى الْمُعَذِّبِينَ حَتَّى يُوفِيَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ. وهنا علق المخلص المسيح قائلاً: فَهَكَذَا أَبِي السَّمَاوِيُّ يَفْعَلُ بِكُمْ إِنْ لَمْ تَتْرُكُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ كُلُّ وَاحِدٍ لِأَخِيهِ زَلَّاتِهِ» (بشارة متى ١٨: ٢١-٣٥).

مستمعي الكريم، كان معلّمو اليهود يعلمون أن على المرء أن يغفر لمن أساء إليه ثلاث مرات. وذهب الرسول بطرس إلى أبعد من ذلك، إذ سأل المسيح إذا كان يكفي أن يغفر لأخيه الذي أساء إليه سبع مرات. فأجابه المسيح لا إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات، أي أربعمئة وتسعون مرة. وهذا بالطبع عدد كبير يشير إلى لا محدودية الغفران. لكن المسيح وكعادته تحدّث بمثل للرسول بطرس يبين له فيه ضرورة الغفران.

كانت العادة في ذلك العصر أن تقع عواقب وخيمة على الذين يعجزون عن سداد ديونهم. فكان يمكن للدائن أن يقبض على المدين العاجز ويُلقيه في السجن. وكان يُنتظر من المدين وهو في السجن أن يبيع ممتلكاته، أو أن يدفع عنه أقرباؤه الدّين، وإلا فسيظل في السجن طيلة حياته. وكان من الممكن أن يجبر الدائن المدين مع أسرته على العمل عنده إلى أن يتم سداد الدين. بل كان يمكن أن يُباع أولاده في سوق الرقيق لسداد الدّين.

وفي هذا المثل نجد مشهدين، المشهد الأول يحكي عن ملك أراد محاسبة عبّيده، فلما وجد أحدهم لم يسدد له الدّين الكبير، عشرة آلاف وزنة، أمر ببيعه مع أسرته وكل ما له لكي يوفي الدّين. فخرّ العبدُ وسجدَ له قائلاً: يَا سَيِّدُ، تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيكَ الْجَمِيعَ. فَتَحَنَّنَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ وَأَطْلَقَهُ، لا بل سامحه بالدّين.

ننقل الآن إلى المشهد الثاني، حيث وجد هذا العبد نفسه أحد زملائه مديناً له بمئة دينار فقط. وعندما أمسك بعنقه طالباً منه أن يسدد الدّين، خرّ العبد زميله أمامه وطلب منه أن يتمهّل عليه فيوفيه المبلغ كاملاً. لكنّ هذا العبد الدائن رفض مناقشة زميله وألقاه في السجن. فلما رأى العبدُ رفقاًؤه ما كان، حزنوا جداً. وأتوا وقصّوا على سيّدهم كل ما جرى. فدعاه حينئذ سيّدُه وقال له: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ، كُلُّ ذَلِكَ الدّين تَرَكْتَهُ لَكَ لِأَنَّكَ طَلَبْتَ إِلَيَّ. أَفَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّكَ أَنْتَ أَيْضاً تَرْحَمُ الْعَبْدَ رَفِيقَكَ كَمَا رَحِمْتَكَ أَنَا؟ وَغَضِبَ سَيِّدُهُ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْمُعَذِّبِينَ حَتَّى يُوفِيَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ.

في هذا المثل الذي قصّه المخلص المسيح لم يسامح العبد زميله بالدين، مع أن الملك سامحه بالدين الكبير الذي عليه، فكانت النتيجة وبالاً عليه. وهذا يشير بكل وضوح إلى أهمية أن نغفر للآخرين. وعندما لا نغفر فإننا نكون قد كسرنا أهم وصية في الكتاب المقدس والتي هي المحبة، وجلبنا العار على نفوسنا. هل تعلم مستمعي أن الله على استعداد أن يغفر خطايانا الكثيرة؟ وعندما ندرك مقدار غفران الله الكامل لنا، نعلم مدى أهمية استعدادنا الدائم لغفران الآخرين. مع العلم أنه علينا أن لا نحاول إحصاء مرات غفراننا لأحد، بل يجب علينا أن نغفر دائماً لكل من يسيء إلينا، مهما تعددت مرات طلبه للمغفرة.

صديقي المستمع، لقد أعلن الله محبته الفائقة لنا كبشر خطاة، عندما أرسل المخلص المسيح كلمته الأزلي، ومات من أجلنا على الصليب ليكفر عن ذنوبنا. وكل من يؤمن بهذا المخلص الفريد يغفر الله ذنوبه مهما كانت كثيرة وكبيرة. ونتيجة لذلك علينا أن نغفر نحن أيضاً للآخرين الذين يسيئون إلينا. ولهذا كتب الرسول بولس قائلاً: « **مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غَفَرَ لَكُمْ الْمَسِيحُ هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا. وَعَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ** » (كولوسي ٣: ١٣-١٤).

فهل تتجاوب مستمعي مع محبة الله لك؟ وتقبل بالتالي غفرانه الكامل لخطاياك؟ وعندها تستطيع أن تغفر للذين يسيئون إليك! لقد سامحك الله بالكثير فكم يجدر بك أن تسامح إخوانك بالقليل. فهل تثق أولاً بمحبة الله وغفرانه لك؟ وهكذا يهبك الله صفة المحبة أيضاً؟